

فضائل الصحابة

الهدف من الخطبة: تعميق محبة الصحابة -رضى الله عنهم- في قلوب المسلمين للتأسي بهم في متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي نصره دين الله تعالى
العناصر:

1- تمهيد.

2- الفضائل العامة لأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- في القرآن

3- الفضائل العامة في السنة

4- الثناء على الصحابة من كلام السلف

التفصيل

1- تمهيد: الصحابة في اللغة: مادة [صحب] والصحب والصحاب والأصحاب والصحابة وأحد. . . وهو جمع صاحب. (1). قال أبو بكر الباقلائي: "لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً ... يقال صحبت فلاناً حولاً، ودهرًا، وسنة، وشهرًا، ويومًا، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره. (2)
واصطلاحًا: الصحابي هو من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح. "فيدخل فيمن لقيه" من طالت مجالسته له، أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى. (3)

والصحابه كلهم عدول، ومعنى عدالتهم: أنهم لا يعتمدون الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسمو الأخلاق والترفع عن سفساف الأمور. وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم،

قال الأبياري -رحمه الله-: "وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، وإنما المراد: قبول روايتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية، إلا أن يثبت

(1) جمهرة اللغة (1/280)، والزاهر في معاني كلمات الناس (1/309)، وتهذيب اللغة (4/153).

(2) الكفاية (100)، وانظر: الصارم المسلول (575)

(3) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (1/158).

ارتكاب قاذح، ولم يثبت ذلك والله الحمد! فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح" (4)

ثانيًا: فضائل الصحابة في القرآن:

1- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} فهذه الآية الكريمة وجّه الله تعالى فيها الخطاب إلى جميع الأمة المحمدية من أولها إلى أن تقوم الساعة وهذا الخطاب يتضمن أنه سبحانه جعلهم خيار الأمم ليكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، والوسط في الآية بمعنى الخيار والأجود ولكن أولوية الدخول في هذا الخطاب إنما هو لأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل بقية الأمة الإسلامية إذ هم أول من وجه إليهم هذا الخطاب في هذه الآية وهم الموجودون حين نزوله. (5)

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: عدلاً (6) وقال ابن كثير: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}: والوسط هاهنا الخيار والأجود كما يقال: قرش أوسط العرب نسباً وداراً أي أخيرها وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسطاً في قومه أي: أشرفهم نسباً. . . ولا شك في أن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم أحق من كل أحد من أمته عليه الصلاة والسلام بهاتين الصفتين ألا وهما: العدالة والشهادة على سائر الأمم يوم القيامة بأن الرسل قد بلغوا أممهم ما أنزل الله إليهم من الرسالات السماوية.

2- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

ولا شك أن أولى المؤمنين بهذه الصفات الطيبة هم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي مقدمتهم — الصديق أبو بكر — فهم أقعد وأحق وأولى بهذه الصفات من كل مؤمن يأتي بعدهم فهم أول من يتناوله الخطاب ويدخل فيه دخولاً أولياً. ومما يؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: لما توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستخلف أبو بكر بعده وكفر من

(4) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ت (794) (189/6)، والسنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام (2/315).

(5) عقيدة أهل السنة في الصحابة (55/1).

(6) صحيح البخاري (7349)، والترمذي (2961) وهذا لفظه.

كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر **رضي الله عنه** : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل —" فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل — قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. (7)

3- قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله. {مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} {الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون}. {وَمِنَ الْأَنْصَارِ} {الذين تبوأوا الدار والإيمان، [من قبلهم] يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهولاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله. {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} {ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، {وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} الجارية التي تساق إلى سقي الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة. {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} لا يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا لأنهم مهما تمنوه أدركوه، ومهما أراذوه وجدوه. {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور. (8)

4- قال تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

قال الجصاص: فيه مدح لأصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم وهذا نص في رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى

(7) صحيح البخاري (6924)، وانظر: عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر علي (64/1).

(8) تفسير السعدي آية (100) من سورة التوبة.

غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر **رضى الله عنهم** - (9)

5- قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} 4.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله** - : {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} فيها ثناء على الصحابة **رضى الله عنهم** - والصحابة هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء.

6- قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

هذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول **صلى الله عليه وسلم** - بالثناء عليه ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة **رضى الله عنهم** - .

قال ابن كثير **رحمه الله** - : "فالصحابة **رضى الله عنهم** - خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبه في سمتهم وهديمهم.

وقال مالك **رحمه الله** - : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة **رضى الله عنهم** - الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحوارين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** - ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ} ثم قال {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} أي: فراخه {فَآزَرَهُ} أي: شدّه وقواه {فَاسْتَغْلَظَ} أي: شبّ وطال {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ} أي: فكذلك أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** - أزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع {لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبيغضون الصحابة **رضى الله عنهم** - قال: "لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة **رضى الله عنهم** - فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء **رضى الله عنهم** - على ذلك. . . ثم قال

تبارك وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ} من هذه لبيان الجنس {مَغْفِرَةً} أي: لذنوبهم {وَأَجْرًا عَظِيمًا} أي: ثوابًا جزيلاً ورزقاً كريماً ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبذل، وكل من اقتفى أثر الصحابة **رضي الله عنهم** - فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة **رضي الله عنهم** - وأرضاهم وجعل الفردوس مأواهم وقد فعل(10).

ومجمل القول في هذا أن كل صيغة عموم فيها الثناء على عباد الله المؤمنين، أو فيها وعد لهم بدخول الجنة أو تبشير لهم بذلك من الله تعالى فإنها تشملهم ويدخلون فيها قبل كل أحد دخولا أولياً ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، والآيات من هذا القبيل في القرآن كثيرة جداً يصعب حصرها في هذا المقام

ثانياً- الثناء عليهم في السنة:

لقد ورد الثناء على الصحابة **رضي الله عنهم** - بصفة عامة على وجه عام في أحاديث كثيرة ومنها ما يلي:

1- عن أبي موسى **رضي الله عنه** - قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ "أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ" قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ" (11)

قال النووي: " قوله **صلى الله عليه وسلم** - : "وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان

(10) تفسير ابن كثير سورة الفتح.

(11) مسلم (6557).

وظهور الروم وغيرهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته -صلى الله عليه وسلم- 2.

2- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيَكُم مِّنْ رَّأَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيَكُم مِّنْ رَّأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيَكُم مِّنْ رَّأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ". (12)

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم.

3- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتُهُمْ" (13)

قال النووي: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه -صلى الله عليه وسلم- والمراد أصحابه". وقال الحافظ ابن حجر: "قوله: 'خير أمتي قرني' أي: أهل قرني والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة. . والمراد بقرن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث الصحابة. . واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهر البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر قوله -صلى الله عليه وسلم-: 'ثم يفسحوا الكذب' ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان، وقوله: 'ثم الذين يلونهم' أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون 'ثم الذين يلونهم' وهم أتباع التابعين، واقتضى أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين. (14)

(12) البخاري (2897).

(13) البخاري (6429).

(14) فتح الباري (6/7).

4- وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَةً". (15) وفي لفظ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : لَا تَسْبُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَةً". (16)

فإذا كان سيف الله خالد بن الوليد وغيره ممن أسلم بعد الحديبية لا يساوي العمل الكثير منهم القليل من عبد الرحمن بن عوف وغيره ممن تقدم إسلامه مع أن الكل تشرف بصحبته -صلى الله عليه وسلم- فكيف بمن لم يحصل له شرف الصحبة بالنسبة إلى أولئك الأخيار. (17)

قال ابن حزم في شرحه لهذا الحديث: "فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهباً ننفعه نحن في سبيل الله تعالى بعد ذلك قال الله - تعالى -: { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } (18) وهذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم -رضي الله عنهم- أجمعين". وقال القاضي عياض: وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم ولأن إيفاقهم كان في نصرته -صلى الله عليه وسلم- وحمائته وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعتهم وقد قال الله تعالى: { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تتال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (19).

5- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "تَضَرَّ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفَظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ" (20)

قال الخطابي -رحمه الله- : " معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة".

(15) البخاري (3673).

(16) مسلم (6579).

(17) قبس من هدي الإسلام لعبد المحسن العباد ص/ 92. نقلا عن عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر علي.

(18) ابن حزم الأندلسي ورسائله في المفاضلة بين الصحابة ص/ 177 لسعيد الأفغاني.

(19) شرح النووي على مسلم (94/16).

(20) سنن أبي داود (3660). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

ولا شك أن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها القسط الأكبر والحظ الأوفر لأنهم هم الذين تلقوا كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأدوه إلى من بعدهم.

قال ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها: "وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدر فيهم قدح في القرآن والسنة" (21)

كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين (22)

ثالثاً: الثناء عليهم في أقوال السلف والعلماء: وهذا باب واسع أذكر طرفاً منه

1- قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: **إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ.** (23)

2- عن الحسن أن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أَيُّ بَنِي، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: **إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَاءُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نَخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتْ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ.** (24) فقول عائذ بن عمرو -رضي الله عنه-: "وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة -رضي الله عنهم- كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة" (25).

(21) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (4/430).

(22) مجموع الفتاوى (4/429) وبنحوه في الصارم (ص. 582).

(23) أخرجه أحمد (3600)، وحسن إسناده الألباني في الضعيفة 17/2.

(24) صحيح مسلم (4761).

(25) شرح النووي على صحيح مسلم (12/216).

3- قال قتادة بن دعامة السدوسي: أحق من صدقتم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه(26).

4- وقال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته: ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجمعين والكف عن ذكر ما شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو أخذًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرض بعيبيهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبه سنة والدعاء لهم قرينة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة.

5- وقال ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى: فأما أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاماً وقادة فحفظوا عنه -صلى الله عليه وسلم- ما بلغهم عن الله عز وجل - وما سن وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب ووعوه وأتقنوه ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب تأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرّفهم الله - عز وجل - بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفي عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز(27).

6- قال جمال الدين الغزنوي الحنفي: ونحن نحب أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وآله وسلم وأزواجه وذرياته وقراباته والصّحابة أجمعين ونذكرهم بالخير ونثني عليهم وندعوا لهم بالخير ونترحم عليهم ولّا نفرط في حب أحد منهم ولّا نتبرأ من أحد منهم ونحب من يحبهم ونبغض من يبغضهم ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل وحبه دين وإيمان وبغضهم كفر وطغيان ونحسن القول فيهم ونسكت عما جرى بينهم -رضى الله عنهم- أجمعين(28).

7- قال ابن القيم في فهم الصحابة ورايهم: رأي أفقه الأمة، وأبرر الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً، وأصحهم قصوداً، وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً، الذي شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول؛ فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء

(26) مسند أحمد (12375) وقال الشيخ شعيب إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(27) الجرح والتعديل (87/1) لابن أبي حاتم (ت 327) -

(28) أصول الدين للغنوي الحنفي ت (593).

بِهِ الرَّسُولُ -صلى الله عليه وسلم- كَنَسَبَتِهِمْ إِلَى صُحْبَتِهِ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ بَعْدَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْفَرْقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ فِي الْفَضْلِ؛ فَنَسَبَةُ رَأْيٍ مَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى رَأْيِهِمْ كَنَسَبَةِ قَدْرِهِمْ إِلَى قَدْرِهِمْ. قَالَ الشَّافِعِيُّ -رحمه الله- فِي رِسَالَتِهِ الْبُغْدَادِيَّةِ الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ: وَقَدْ أَتَنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَسَبَقَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَهَنَّاَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِلُغَةٍ أَعْلَى مَنَازِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَدَّوْا إِلَيْنَا سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَشَاهَدُوهُ وَالْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فَعَلِمُوا مَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَامًّا وَخَاصًّا وَعَزَمًا وَإِرْشَادًا، وَعَرَفُوا مِنْ سُنَّتِهِ مَا عَرَفْنَا وَجَهَلْنَا، وَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ وَعَقْلٍ وَأَمْرٍ اسْتَدْرَكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتَنْبَطَ بِهِ، وَآرَأَوْهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَى بِنَا مِنْ رَأْيِنَا عِنْدَ أَنْفُسِنَا، وَمَنْ أَدْرَكْنَا مِمَّنْ يَرْضَى أَوْ حُكِيَ لَنَا عَنْهُ بِلَدْنَا صَارُوا فِيمَا لَمْ يَعْلَمُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِيهِ سُنَّةٌ إِلَى قَوْلِهِمْ إِنْ اجْتَمَعُوا، أَوْ قَوْلٍ بَعْضِهِمْ إِنْ تَفَرَّقُوا، وَهَكَذَا نَقُولُ، وَلَمْ نَخْرُجْ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، وَإِنْ قَالَ أَحَدُهُمْ وَلَمْ يُخَالِفْهُ غَيْرُهُ أَخَذْنَا بِقَوْلِهِ. (29)